المبحث الثاني

مفاهيم ومصطلحات أنثروبولوجية

لقد وردت مصطلحات أنثربولوجية عدة في متن الكتاب ولم تأخذ حقها من التوضيح الأمر الذي جعلنا نفرد لها حيزاً خاصاً تحت هذا العنوان (مفاهيم ومصطلحات أنثربولوجية). ولا بد من الإشارة إلى أننا اعتمدنا في تبيان مضمون المفاهيم على بعض المعاجم المستخدمة من ميادين الدراسات الاجتماعية ومن أهمها قاموس علم الاجتماع للدكتور (محمد عاطف غيث) وهو الاجتماعي الأنثروبولوجي المعروف، كذلك قاموس الأنثربولوجيا للدكتور (شاكر سليم).

علم الأركيولوجي (الآثار القديمة): Archaeology

وهو علم يهتم بدراسة الآلات والأدوات ووسائل الإنتاج المختلفة في المراحل التاريخية المتتابعة كما يهدف إلى إعادة البناء في عملية تصورية للحياة الاجتماعية لمجتمعات ما قبل التاريخ.

علم اللغويات: Linguistics

وهو العلم الذي يدرس تحليل اللغات في زمن معين؛ لدراسة نظمها الصوتية وقواعدها ومفرداتها بالاعتماد على اللغة الكلامية، وذلك عن طريق الاستماع إليها خاصة أن مثل هذه اللغات تكون صوتية أي لم تكتب بعد.

ويقوم عالم اللغة بكتابتها عن طريق استخدام رموز دولية في المجتمعات البدائية، كما يهتم هذا العلم بالجانب التاريخي المقارن؛ إذ يدرس العلاقات التاريخية بين اللغات التي يمكن تتبع تاريخها عن طريق وثائق مكتوبة وإن كانت المشكلة تصبح أكثر تعقيداً حين يواجه العالم بلغات قديمة لا تتوافر وثائق مكتوبة لها.

ويتحقق التعاون بين الأنثروبولوجي وعالم اللغويات عن طريق ما يقدمه الأخير للأنثروبولوجي من دراسة للغة وتحليل عناصرها بالنسبة للمجتمع المدروس مما يساعد على دراسة الثقافة دراسة موضوعية.

النمط الثقافي: Cultural Pattern

هو ترتيب وتنظيم العناصر أو المركبات الثقافية في وحدة متكاملة، أو أنه تعبير عن عمل أو اعتقاد ما شرط أن يكون مألوفاً لدى عامة الناس مثل نمط الصلاة والصوم في المجتمع الإسلامي كركنين من أركان الإسلام. وترى العلامة الأنثروبولوجية «روث بند كث» أن الأنماط الثقافية هي وحدات تتألف منها الثقافات وأن لها خصائصها المميزة، وتستمد كل ثقافة إطارها ومظهرها العام من هذه الأنماط بشكل يميزها عن غيرها من الثقافات الأخرى.

السمة الثقافية: Cultural trail

هي أبسط جزئيات الثقافة التي لا يمكن أن تحلل إلى ما هو أبسط منها من سمات أو عناصر. فمثلاً عندما نقول: (البيت الشعبي) فهو مركب

obeikandi.com

ثقافي ينظر له أنه مكون من مجموعة عناصر أو سمات، عند تحليل هذا المركب الثقافي إلى أبسط جزء حيث لا يمكن أن يجزأ، نسمي ذلك: سمة ثقافية.

وظيفة (الاتجاه الوظيفي): Function Functionalism

١- الوظيفة هي النتيجة (أو النتائج) المترتبة على نشاط اجتماعي أو سلوك اجتماعي، وغالباً ترتبط الوظيفة في العلوم الاجتماعية بالأنماط الثقافية، والبناءات الاجتماعية، والاتجاهات، وينظر إلى هذه النتائج في ضوء تأثيرها على بناء الموقف أو النسق، أو التفاعل بين الأشخاص. ويبدو أن (سبنسر) هو أول من أدخل مصطلح الوظيفة في ميدان العلوم الاجتماعية، واستعارته من الفزيولوجيا.

ويميل بعض علماء الأنثربولوجيا إلى استخدام مصطلح الوظيفة دون إثارة تساؤلات تتعلق بظروف البقاء أو الاستمرار التي يجب أن تتحقق، فيقول لينتون LinTon أن وظيفة «مركب السمة» هي محصلة ما تسهم به من أجل استمرار الصيغة الاجتماعية الثقافية، ويرى (هيرسكوفتز) Herskovits: إن الوظيفة تحاول أن تدرس العلاقات المتبادلة بين مختلف العناصر الصغرى والكبرى في الثقافة، وهدفها هو التعبير عن وحدة الثقافة من خلال تتبع التداخل بين السمات والأنماط الثقافية، أما (راد كليف براون) فإنه يقرر أن الوظيفة هي الإسهام الذي يقدمه النشاط الجزئي بالنسبة للنشاط العام، فوظيفة العادة الاجتماعية الجزئية هي إسهامها في

الحياة الاجتماعية ككل، ولقد كتب (زاد كلف براون) عن ذلك يقول: (إني أميل إلى تعريف الوظيفة الاجتماعية كنشاط اجتماعي محدد بأنها العلاقة بينه وبين البناء الاجتماعي، حيث تعمل على استمراره ووجوده، وقد أرجع مفهومه عن الوظيفة إلى كتابات «دور كايم» الذي عرّف وظيفة النظام الاجتماعي أنها «التنظير بينه وبين حاجات الكائن العضوي»).

٢- وعلى الرغم من أن (مالينوفسكي) لم يكن مهتماً بصفة خاصة بالإسهامات التي تقدمها الأنماط الثقافية والممارسات الاجتماعية بالنسبة للحاجات العاطفية والسيكولوجية للأفراد والجماعات إلا أنه اهتم أيضاً بالطرق التي تعمل من خلالها الثقافة على مواجهة الحاجات التي تفرضها ظروف الحياة الاجتماعية والبيئة الطبيعية. فالنظرية الوظيفية (كما يقول) تهدف إلى تفسير الوقائع الأنثروبولوجية في كل مستويات تطورها من خلال الدور الذي تؤديه داخل النسق الثقافي المتكامل. وهذا على أساس ارتباط هذه الوقائع أحدها مع الآخر وارتباطها كذلك بالبيئة الطبيعية المحيطة بها.

٣- ويستخدم علماء الاجتماع مصطلح الوظيفة للإشارة إلى العمليات الاجتماعية، والأفعال وبناءات الجماعة، وطائفة أخرى كبيرة من الظواهر أوسع نطاقاً بكثير من الثقافة التي تظهر في الاستخدام الأنثروبولوجي، ولا يميل كل علماء الاجتماع الذين يستخدمون مصطلح الوظيفة إلى عدِّ أنفسهم منتمين إلى الاتجاه البنائي الوظيفي في التحليل. (بارسونز) مثلاً عد مفهوم الوظيفة بالغ الأهمية من حيث إنه يقدم المحاكات التي نحتكم

إليها في تحديد أهمية العوامل الدينامية والعمليات داخل النسق، وقد تعرض المفهوم إلى الكثير من التعديل والتنقيح مثلما فعل (ميرتون) Merton عندما فرق بين الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة.

٤- وهناك معنى محدد لمصطلح الوظيفة في علم الاجتماع، والعبارة التالية تشير إلى الاستخدام الشائع له:

«إن الوظيفة الاجتماعية للدين تتمثل في المحافظة على تماسك الجماعة».

وتشير الوظيفة هنا إلى نتيجة موضوعية ومشخصة ترتبط بالظاهرة الاجتماعية داخل نسق واسع هي جزء منه، وتُعد الوظائف الظاهرة نتائجه موضوعية للنسق يعتبر بها المشاركون فيه، بينما لا تشير الوظائف الكامنة إلى مثل هذه النتائج.

ويُعد التمييز بين الأنشطة التي تسهم في بقاء وتوازن نماذج الأنساق الاجتماعية من ناحية وبين الأنشطة التي تسهم في اضطراب هذه النماذج وتخلخلها من ناحية أخرى، تمييزاً بين ما يسمى التدعيم أو التعويق الوظيفي، هكذا يمكن أن نتكلم عن المعوقات الوظيفية الظاهرة والكامنة، وكذلك المدعمات الوظيفية الظاهرة والكامنة، مع ذلك فقد توجد بعض الأنشطة المحايدة التي لا تؤدي إلى نتيجة محددة في النسق؛ ولذلك لا ينظر إليها على أنها مدعمة أو معوقة، كما أشار إلى ذلك (ويليام جود) في كتابه الدين عند البدائيين سنة ١٩٥١م.

٥- وقد تستخدم الوظيفة استخداماً رياضياً، بمعنى أننا عندما نقول: إن الظاهرة الاجتماعية (X) تُعد وظيفة للظاهرة (Y)، فإننا بذلك نعني أن (X) تتنوع نسبياً مع (Y) وعلى الرغم من ضرورة التمييز بين هذا المعنى والمعنى السابق إلا أنهما مع ذلك يرتبطان بطريقة أو بأخرى، وهذا يعني أن الوظيفة كنتيجة للنسق تتضمن أن كل الظواهر الاجتماعية في هذا النسق تتلاءم وتكون في وضع متكامل؛ ولذلك تترابط كل الظواهر الموجودة في النسق حتى إن أي تغير في جانب من جوانبه يستتبع تعديلات في النسق كله.

٦- هذا وقد عرفت الاتجاهات الوظيفية المبكرة في علم الاجتماع الحديث من خلال اتجاهين رئيسين ظهرا في عام ١٩٢٠ وفي عام ١٩٣٠.

الأول: يتمثل في التوجيه النظري والمنهجي الجديد لعلماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية سنة ١٩٢٠م الذي نبع من محاولة (مالينوفسكي) تطويراً متصلاً يؤكد أهمية تحليل المجتمعات البدائية على أساس النظر في كل منها «ككل اجتماعي ثقافي» والتركيز على دراسة النظم في ضوء علاقاتها المتبادلة بالنظم الأخرى في المجتمع نفسه وفي ضوء ما تقدمه من إشباع أو مواجهة الحاجات الأساسية وبخاصة الحاجات البيولوجية للأعضاء كأفراد وكذلك من إضافة (راد كليف براون) من خلال استخدامه المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية، ومع أنه حاول الابتعاد عن تأكيد (دور كايم) لما اسماه «بحاجات» الكائن الاجتماعي، وتحدث بدلاً من ذلك عن الشروط الضرورية للوجود؛ لأنه كان يريد أن

يتجنب التفسيرات الغائية التي تتبنى فكرة وجود أرواح موجهة أو قوى غيبية أسطورية في الحياة الاجتماعية.

ولقد تضمنت كتابات (راد كليف براون) تمييزاً بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو تحليل شبكة العلاقات الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعي وبين الفزيولوجيا الاجتماعية أو بحث ما يجود في المجتمع من ظواهر اجتماعية تترابط عند قيامها بوظائفها ترابطاً متبادلاً.

والثاني: يتمثل في الفترة التي شهدت اهتماماً متزايداً في علم الاجتماع بالتصور المجرد للأنساق الاجتماعية. فقد ذهب (باسونز) في كتابه (بناء الفعل الاجتماعي) الذي أخذ في الاتجاه الوظيفي طابعاً علمياً منظماً إلى أن أهمية مصطلح الوظيفة يبدو في إمكانية الربط بين المقولات البناءة في علم الاجتماع، وهي التي تجعل الباحث يتجنب إعطاء صورة جامدة واستاتيكية عن الأنساق الاجتماعية؛ ولهذا يقدم المدخل الوظيفي في الأمر معياراً يقيس أهمية العوامل والعمليات ومغزاها وعلاقتها المتبادلة داخل النسق.

ومن الجدير بالذكر أن (بارسونز) بدأ في شرح نظريته كما لو كانت نظرية غائية على الرغم من أن استخدامه للمصطلح كان أكثر تحديداً وأقل تعرضاً بالمقارنة بالاستخدامات المبكرة له، وهو يقصد بالغائية علاقة الوسائل بالغايات سواء كانت متمثلة في المعوقات الوظيفية التي تقلل من تكامله وفاعليته.

٧- ويمكن تحديد الخصائص المميزة للاتجاه البنائي الوظيفي فيما يلي :

- تصور أو وصف الحدود القائمة بين الأنساق الاجتماعية وغيرها من الأنساق الأخرى، كالنسق الثقافي والنسق البيولوجي ونسق الشخصية .

- التصور أو الوصف المجرد للوحدات البنائية الكبرى في النسق الاجتماعي بشكل يتخطى تاريخها مع التأكيد التام على العلاقات المعيارية القائمة بينها .

- الاهتمام بشروط النسق وتكامله وفاعليته بوصفه نسقاً مجرداً، ويشتمل التوجيه الوظيفي على كل هذه الخصائص على الرغم من أن أهم الجوانب التي تميز النسق هي فكرة الملزمات أو الضرورات الوظيفية .

وقد اشتقت الملزمات الوظيفية من التجارب التي أجريت على الجماعات الصغيرة، حيث يشار إلى أربعة أشكال أو أنواع منها هي : تكيف النسق مع غيره من الأنساق الأخرى، وتكيفه مع البيئة الطبيعية، وبلوغ النسق أهدافه، والإبقاء على ثبات النسق وديمومته وتكامله .

هذا وتتشابه الملزمات الوظيفية ولا تتطابق مع فكرة المطالب الوظيفية، مع أنه ليس هناك تمييز قاطع بين الفكرتين، إلا أن فكرة المطالب الوظيفية تشير - بوجه عام - إلى تحقيق الشروط الضرورية لوجود النسق، مثل : التطبيق الاجتماعي للأعضاء الجدد وطرق توزيع الأدوار بين الأفراد، وهكذا تدور فكرة الملزمات الوظيفية في مجال أضيق مما تدور فيه فكرة المطلب؛ مما يجعلها أكثر ارتباطاً بالنظرية البنائية الوظيفية، فضلاً عن أنها

تستخدم لتحليل شروط ثبات النسق وفاعليته، وليس لتأكيد وجوده أو بقائه كما هو الشأن بالنسبة للمطالب الوظيفية.

جماعة محلية: Gemeinschaft

١- الجماعة المحلية هي تصور مثالي يستخدم في دراسة أو تحليل خصائص الأنساق الاجتماعية، والأنساق الاجتماعية (التي توصف نموذجياً بأنها جماعات محلية) هي تلك التي تسيطر عليها الإرادة الطبيعية أو الأساسية، وتوجد هذه الإرادة حينما تقوم الروابط على علاقات تتميز بما يلي: أنها غايات أو أهداف في ذاتها، وأنها تلقائية، ونتاجاً للتفاعل بين المراكز والأدوار، وعلى هذا النحو تعد الأسر، وجماعات الصداقة، والعشائر، وجماعات الجوار القروية، والفرق الدينية، من قبيل الجماعات المحلية.

٢- ولقد اكتسب هذا المصطلح معناه المتخصص في علم الاجتماع عن طريق كتابات (فيرديناند تونيز) (١٨٥٥- ١٩٣٦). وهو كأداة تصويرية يشير إلى نموذج مثالي للبناء الاجتماعي وإلى توجيه قيمي، بحيث يتعذر أن نجده متحققاً بصورة المجتمع، حيث يقول عنهما: «إنهما يمثلان النماذج المقابلة له، وهي تدرس الواقع على أساسها وتصفه وتصنفه». على أن فهم المصطلحين يعتمد على فهمنا لمفهوم الإرادة عند (تونيز) ويقول (هيبرل): إن العلاقات الاجتماعية عند (تونز) تعبر عن الإرادة، وتشتمل هذه الإرادة على عناصر هامة في الحياة الاجتماعية، مثل: القيم والغايات،

والمعتقدات، فضلاً عن أسس التدرج الاجتماعي. وتتخذ الإرادة الإنسانية مظهرين أساسيين، هما الإرادة الرئيسة التي تعبر عن النواحي الغريزية العضوية الكامنة وراء النشاط الإنساني كدافع له ثم الإرادة التحكمية وهي الشكل المعتمد أو القصدي للإرادة، الذي يحدد الشكل الإنساني بالنظر إلى المستقبل. وتسيطر الإرادة الرئيسة على حياة القرويين، وأصحاب الحرف والعامة.

على حين تكون الإرادة التحكمية هي الطابع الغالب على أنشطة رجال الأعمال والعلماء وأصحاب السلطة وكل من ينتمي إلى الطبقات العليا في المجتمع.

٣- ويرى (تونيز) أن موضعي الجماعة المحلية والمجتمع لا يشيران فقط إلى ظاهرة المجتمع الإنساني بل إنهما يعكسان مراحل تطورية للنمو، فالمجتمع ينبثق حينما ينفصل الأشخاص وتتحرر الخدمات من إطار الجماعة المحلية وبخاصة بعد أن تباع وتشترى السلع والخدمات في الأسواق الحرة. ولقد أبدى (تونيز) تفضيله للقيم المرتبطة بنموذج الجماعة المحلية مما جعل بعض الكتاب يفسرون أفكاره عن التطور التاريخي بأنها تمثل نظرية تراجعية، غير أن (تونيز) أنكر هذا الاتجاه، إلا أنه يعترف بإمكان حدوث تطور عكسي.

٤- وقد أشار إلى هذا التقابل الذي حدده (تونيز) بين نوعي العلاقات الاجتماعية لكثير من مفكري القرن التاسع عشر ممن عنوا بنشأة الحضارة الصناعية، وإن كان الكثيرون مالوا إلى القول بأن العلاقات في المجتمع

المحلي تقوضت بفعل التطورات الاجتماعية الحديثة، فالسير (هنري مين) مثلاً، ميز بين المجتمعات التي تقوم على أساس المكانة، والمجتمعات التي تقوم على أساس العقد، كما أن كلاً من (سبنسر) و(دوركايم) قد أشار إلى مثل هذا التقابل. ويرى عدد من الدارسين في مثل هذا «التعارض» غير مقنع تماماً؛ لأن كل التنظيمات التي تندرج تحت نموذج المجتمع تنطوي على عناصر من نموذج الجماعة المحلية. ومع ذلك (وعلى الرغم من الشواهد الأمبيريقية) فإن التقابل أو التعارض بين هذين النموذجين أمر كان له أهمية كبيرة في تاريخ الفكر الاجتماعي.

نظام اجتماعي: Institution, Social

يستخدم في علم الاجتماع مثل استخدامه الإنجليزي الشائع للإشارة إلى كل ما هو ثابت ومقرر في المجتمع. ويتكون النظام من تصور أو مفهوم أو فكرة أو مذهب أو مصلحة أو اهتمام خاص، وهو نموذج لسلوك مقرر ومقبول من قبل الجماعة.

مجتمع قروي: Peasant Society

١- يمكن تعريف المجتمع القروي بأنه: مجتمع فرعي داخل نطاق مجتمع أكبر، ويتميز هذا المجتمع بعدة خصائص هي: الإقامة في الريف، والاقتصاد العائلي، والعائلة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية، والمكانة الاجتماعية المنخفضة، والاعتماد الاقتصادي بدرجات متفاوتة على المراكز الحضرية، وبساطة الثقافة، والارتباط بالأرض،

والمجتمع المحلي والتقاليد. ويعتقد بعض الدارسين أن المجتمع القروي كنموذج للمجتمعات الإنسانية يشغل مكاناً وسطاً بين المجتمع القبلي والصناعي والحضري، ويشترك إلى حدٍّ ما مع هذه المجتمعات في بعض الخصائص.

٢- مصطلح المجتمع القروي مصطلح أوروبي تغيرت معانيه مع التغيرات التي أحدثتها الثورة الصناعية في أوروبا، ويستخدم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا مصطلح المجتمع القروي للإشارة إلى نموذج مثالي أو افتراضي للمجتمعات له خصائص معينة، ففي القرن التاسع عشر اهتم عالم الاجتماع الألماني (تونيز) بالمجتمع القروي بوصفه مصدراً أطلق عليه مصطلح الجماعة المحلية. وفي عام ١٩١٨م نشر (توماس وزنانيكي) دراستهما الشهيرة بعنوان: (الفَّلاح البولندي في أوروبا وأمريكا) وهي التي قدما فيها وصفاً تحليلياً لكثير من خصائص المجتمعات القروية في بولندا، أما (روبرت رد فيلد) الذي استخدم مصطلح (الثقافة الشعبية) فقد أقام تفرقة بين المجتمع القروي وغيره من المجتمعات على أساس أن هذا المجتمع المتوسط متصل: الشعبي الحضري، ومن ثم فهو يتضمن كافة المجتمعات، من المجتمعات البدائية البسيطة حتى المجتمعات الحضرية المعقدة. وقد أصبح معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا يستخدمون مصطلح المجتمع القروي بعد أن اكتسبت المجتمعات البدائية الكثير من الخصائص الحضرية.

٣- وهناك استخدامات أخرى لهذا المصطلح (فريموند فيرث) يرى أن مصطلح

المجتمع القروي يشير إلى عدة خصائص أو سمات اقتصادية مثل: بساطة التكنولوجيا، والاقتصاد العائلي، وسيطرة الأعمال الزراعية.

٤- وقد تغيرت الآن تلك الأفكار التي كانت تنظر إلى المجتمعات القروية على أنها مستقلة ومنعزلة ومكتفية ذاتياً، وحلت محلها وجهة نظر أخرى تنظر إلى هذه المجتمعات على أنها جزء متكامل من مجتمع أكبر، سواء من الناحيتين الثقافية أو الاقتصادية، ومن ثم أصبحت دراسة المجتمع القروي تأخذ في اعتبارها العلاقات التاريخية التي تربط هذا المجتمع بالمجتمعات الكبرى.

اجتماعي: Social

١- يطلق هذا المصطلح بمعناه العام على الكائنات الإنسانية، ويشير إلى أي سلوك أو اتجاه يتأثر بالخبرة الحاضرة أو الماضية لسلوك أشخاص آخرين، أو السلوك الذي يتجه نحو الآخرين، ويربط بعض الدارسين بين مصطلح اجتماعي وبين مواقف لتفاعل الاجتماعي.

٢- وهناك نوع من الخلط بين مصطلحي الاجتماعي والثقافي، فقد يعرف المصطلح الأول تعريفاً عاماً، بحيث يصبح ما هو ثقافي مجرد فئة فرعية مما هو اجتماعي، بينما ينظر إلى مصطلح الثقافي على أنه أشمل من الاجتماعي، ويميل أصحاب هذا الاتجاه إلى التفرقة بين المصطلحين على أساس أن الاجتماعي يتضمن بالضرورة تفاعلاً، بينما الثقافي يشير إلى النواحي المعيارية والمعرفية للسلوك أكثر من التفاعل، وأحياناً يستخدم

مصطلح اجتماعي لكي يعني بعض الاعتبارات الأخلاقية، حيث يعني - دائماً - كل ما يحقق الرفاهية للمجتمع أو لقطاعات معينة منه.

وأخيراً فإن المصطلح الاجتماعي يعني الوعي بمشاعر واتجاهات الآخرين والسلوك المتأثر بهذا الوعي.

فعل اجتماعي: Social Act

١- يشير مصطلح الفعل الاجتماعي إلى أي نشاط مهم وموجه نحو هدف ما يصدر عن شخص أو مجموعة أشخاص. وهناك ثلاثة عناصر رئيسة للفعل:

(أ) توقع الاتجاهات.

(ب) النشاط المنظم والموجه وفقاً لتعريف الدور من خلال المعايير الاجتماعية وتوقعات الآخرين.

(ج) الإنجاز الرمزي للهدف.

٢- وقد استخدم هذا المصطلح في علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي على السواء على أساس أن الفعل الاجتماعي هو وحدة الملاحظة الأساسية للسلوك الإنساني، ويشير المصطلح إلى عدة دلالات وإن كانت ترتبط بالاستخدام الأساسي له، ويتصور الذين يثبتون نظرية التعلم أن الفعل الاجتماعي يمثل مجموعة أنماط سلوكية متتالية تعبر عن علاقة بين المثير والاستجابة، غير أن هناك وجهة نظر أخرى تذهب إلى أن دراسة الأفعال الإنسانية لا يجب أن تقتصر على مجرد فحص المثيرات

obeikandi.com

الخارجية للسلوك ودراسة الأخير كاستجابة لها فقط، وإنما يتعين أيضاً أن نأخذ في اعتبارنا «المعاني» التي يقصد إليها الأفراد في أفعالهم، وقد حاول (جورج ميد) أن يطور هذا الاتجاه حينما ذهب إلى أن الكائن العضوي يخلق البيئة التي يتحرك فيها، وهو يرى أنه من الأفضل أن نقصر مصطلح الفعل الاجتماعي على كل سلوك يتضمن تقارباً مع الآخرين وأن يكون موضوعه اجتماعياً بالضرورة.

الأنثروبولوجيا الاجتماعية: Social Anthropology

١- فرع من الأنثروبولوجيا العامة. وقد ظهرت الأنثروبولوجيا العامة حوالي ١٨٥٠م وتطورت حتى أصبحت تضم الأنثروبولوجيا الفيزيقية التي تدرس الخصائص التشريحية للإنسان ومكانته في المملكة الحيوانية، وعلم آثار ما قبل التاريخ، والثقافة المادية القبلية، والفلكلور والعادات وأشكال التنظيم الاجتماعي السائدة في المجتمعات القبلية والرعوية التقليدية، ويختلف اهتمام علماء الأنثروبولوجيا بهذه الموضوعات فـ(أدوارد تايلور) في بريطانيا مثلاً تعددت اهتماماته، واقتصر (لويس مورجان) في أمريكا على دراسة التنظيم الاجتماعي.

وتركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية بحثها بوجه عام على وقائع الحياة القبلية من منظور التفاعل الاجتماعي، مثل: الدراسة المونوجرافية للأنساق الاجتماعية الخاصة، والتفسير المقارن لدور النظم في مختلف الأنساق الاجتماعية، وقد تهتم الأنثروبولوجيا الثقافية بالوقائع نفسها

ولكن من منظور مختلف إلى حد كبير، وتحاول الأنثروبولوجية السيكولوجية أن تحلل نفس الوقائع من منظور الاعتماد المتبادل بين نماذج الشخصية والبناء في ثقافات متنوعة، وهناك بالطبع علاقات وثيقة بين فروع الأنثروبولوجية العامة وخصائص تلك التي تستخدم أطراً متشابهة لتحليل البيانات التي ترتبط بالأفراد والنظم في المجتمعات المختلفة، ومن هذه الروابط ارتباط الأنثروبولوجيا الاجتماعية بعلم الاجتماع والعلوم السياسية والتشريع الاقتصادي. . . إلخ.

٢- وعلى الرغم من امتداد بحوث الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى المجتمعات الحديثة ومحاولتها «منافسة» علم الاجتماع بعد التغيرات الهائلة والمستمرة التي حدثت في المجتمعات البدائية والقبلية التي شكلت ميدانها الأصلي، إلا أن الطابع الأساسي لها سيظل في اهتمامها بتأثير العادات على التفاعل الاجتماعي مثلها في ذلك مع اختلاف في المنظور مثل الأنثروبولوجيا الثقافية والسيكولوجية. وظهر الاهتمام ـ غالباً ـ بالعادات في صورة التحليلات التي توضح أن هناك نوعاً من العقلانية فيما يبدو أنه غير معقول مثل الأساطير والخرافات والرموز الشعائرية والتقاليد المتبعة في الاحتفالات. . . إلخ وفي الوقت نفسه يتزايد الاهتمام في الأنثروبوبولوجية الاجتماعية بتطوير مناهج البحث الدقيقة والمقننة التي تساعد على تقليل دور العامل البشري الشخصي في الملاحظة، وتطوير استخدام مناهج الإحصاء والتحليل الكمي للبيانات والمعلومات، بما يضفي الطابع العلمي البحث على الأنثروبولوجيا من حيث المنهج والنتائج

التي تصل إليها. إلا أن هناك من علماء الأنثروبولوجيا من ينكر هذا الاتجاه ويصر على أنها علم يرتبط بصفة أساسية بالتاريخ أكثر من ارتباطه بأي فرع آخر من العلوم.

٣- وتختلف استخدامات مصطلح الأنثرولوجيا الاجتماعية اختلافاً واضحاً ويتداخل أيضاً بمصطلحات أخرى، مثل: الأنثروبولوجيا الثقافية، والإثنولوجيا، والإثنوجرافيا، والواقع أن مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية استخدم أساساً في بريطانيا أكثر من الولايات المتحدة. ومن أقدم المناقشات البريطانية لهذا الميدان ما قدمه (فريزر) حين يستخدم المصطلح للإشارة إلى جانب معين من دراسة المجتمع، ويقول: «إن مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية - كما أفهمه - أو على الأقل (كما أقترح أن يكون) منحصراً في دراسة البدايات الأولى من تطور المجتمع الإنساني، أما (راد كليف بروان) فقد فرق بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والإثنولوجيا، ويعتقد أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية دراسة تسعى إلى صياغة القوانين العامة التي تكمن وراء ظواهر الثقافة، وتعتمد على الاستقرار والتعميمات التي تكشف عن أسباب وقوع الظواهر وارتباطها، على حين أن الأثنولوجيا بمنهجها التاريخي قد تدلنا على أن ظاهرة معينة قد حدثت أو يحتمل أن تكون قد حدثت اعتماداً على نوع من «التاريخ النبي أو التخمين» ويفرق في هذا الصدد بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم النفس - على نحو ما ذهب (دور كايم) - فالأخيرة تدرس السلوك في علاقته بالفرد بينما الأولى تدرس سلوك الجماعات أو مجموعات من

الأفراد وينتهي(راد كليف براون) من ذلك كله إلى أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تدرس أنساقاً اجتماعياً.

٤- ويعتقد بعض الأنثروبولوجيين أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية متماثلتين من حيث مجال الدراسة، أما الإثنولوجيا فهي الجانب النظري أو التعميمي، على حين تُعد الإثنوجرفيا الجانب الوصفي لهذا العلم، وهكذا، نجد دارساً مثل (تيتيف) يرى أنه لا فرق بين الإثنولوجي والمتخصص في الأنثروبولوجيا الثقافية أو الاجتماعية.

وجدير بالذكر أن (كرويبر) يستخدم المصطلحين بمعنى واحد، وأحياناً يستخدم مصلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية، ويرى من لا يفرقون بين المصطلحين أن كل السلوك الإنساني الاجتماعي يتأثر بالمعايير الثقافية، وأن الثقافة هي أساس اجتماعي في توزيعها وانتقالها بين أفراد المجتمع.

العملية الاجتماعية: Social Canasation

١- المعنى العام لهذا المصطلح يشير إلى عملية ارتباط الحوادث بعضها ببعض على أساس السبب والنتيجة، ومعنى ذلك أن هناك رابطة ثابتة بين الأحداث، وأن هناك حدثاً معيناً يسبق الآخر، ومن ثم فإن الارتباط بين الأحداث يمكن أن يعبر في قضايا وقواعد عامة.

٢- وقد يستخدم المصطلح في علم النفس والتاريخ وعلم الاجتماع بمعنى غائي، فالسبب الذي يكمن وراء أفعال معينة يقصد منها تحقيق أهداف معينة، قد يتمثل في هدف مرغوب فيه من جانب الفرد أو الجماعة.

٣- وهناك اتجاهات مختلفة في تحليل العملية الاجتماعية، فبعض النظريات تذهب إلى أن ظروفاً معينة تعد كافية للحياة الاجتماعية، ومعنى ذلك أنه يمكن تفسير الظواهر الاجتماعية في ضوء سبب واحد مثل: التفسير الاقتصادي الماركسي، والتفسيرات الثقافية والسيكولوجية التي تتخذ صورة الحتميات، وعلى الرغم مما أسهمت به هذه التفسيرات، إلا أن التحليل السوسيولوجي يتجه الآن إلى تبني فكرة تعدد الأسباب نظراً لتعقد وتداخل الظواهر الاجتماعية، بل هناك محاولات تستهدف تحاشي مصطلح السبب واستبداله بمصطلح آخر هو مصطلح الوظيفة، وهنا تفسر الظواهر على أساس ما تؤديه من أدوار في الحياة الاجتماعية أو ما تشبعه من حاجات ومطالب للمجتمع.

ضبط اجتماعي: Social Control

١- يستخدم مصطلح الضبط الاجتماعي للإشارة إلى أن سلوك الفرد وأفعاله محدود بالجماعات، وبالمجتمع الكبير الذي يُعد عضواً فيه، أما الوسائل التي تحقق امتثال الأفراد لقواعد المجتمع فهي ميكانيزمات ذات طبيعة اجتماعية.

٢- ومن أقدم تعريفات الضبط الاجتماعي التعريف الذي قدمه (روس)، الضبط الاجتماعي هو السيطرة الاجتماعية المقصودة التي تؤدي وظيفة معينة في المجتمع، ويقول (بارك وبيرجس): إن «كل المشكلات الاجتماعية تتحول في النهاية إلى مشكلات تتعلق بالضبط الاجتماعي»،

والواقع أن هذا الاستخدام أصبح بعد ذلك يتضمن بعداً اجتماعياً - نفسياً، فقد تصور (جورج هربرت ميد) أن الضبط الاجتماعي يستند أساساً إلى بناء الذات، حيث يعتمد على درجة تقبل الفرد لاتجاهات من يشاركونه الأنشطة الاجتماعية في الجماعة.

٣- هناك دراسات للضبط الاجتماعي تربطه ربطاً وثيقاً بالثقافة، وتجعل من العسير دراسة الضبط الاجتماعي بعيداً عن علم اجتماع الثقافة، ومثال ذلك أن الضبط هو مجموع الأنماط الثقافية التي يعتمد عليها المجتمع ككل في ضبط التوتر والصراع، وقد اهتمت هذه الدراسات أيضاً بمعالجة ميكانيزمات الضبط الاجتماعي.

٤- والضبط وسيلة اجتماعية أو ثقافية تفرض عن طريق قيود منظمة ومستقلة نسبياً على السلوك الفردي، بهدف التوصل إلى مسايرة الفعل للتقاليد وأنماط السلوك ذات الأهمية في أداء الجماعة (أو المجتمع) لوظيفتها على نحو مستقر، وقد تعتمد الصورة الأساسية للضبط الاجتماعي على موافقة الفرد أو تأييده لمستويات السلوك التي حددتها المعايير وتوقعات الدور بوصفها صائبة أو ملائمة، وبناء على ذلك فإن عملية التنشئة الاجتماعية واستدماج المعايير الاجتماعية والقيم توفر المصدر اللازم للضبط الاجتماعي الإيجابي، والضبط الاجتماعي قد يكون إيجابياً أو سلبياً، وفي كلتا الحالتين يمكن أن يكون رسمياً أو غير رسمي، وينطوي الضبط الاجتماعي الرسمي على أنساق السلطة والقوانين والقواعد واللوائح التنظيمية التي تحدد المكافآت.

(تنظيم الجزاءات الإيجابية كالشهادات والدرجات العلمية والجوائز والميداليات والمكافآت المالية) أو العقوبات (كالجزاءات السلبية المنظمة، التي تتمثل في الإعدام أو الحبس أو الطرد) وهذا في مقابل الامتثال أو المخالفة، ويمكن أن يكون الدين المنظم في هذا الصدد من العوامل التي تسهم في نسق الضبط الاجتماعي الرسمي، ويكتشف الضبط الاجتماعي غير الرسمي في صور مختلفة كالرأي العام والموضه، وتفرضه الجزاءات غير الرسمية كالثناء أو السخرية.

٥- وقد عرف المصطلح في كثير من الأحيان على أساس أن هدف الضبط الاجتماعي يتمثل في النظام، وفي تدعيم القيم الاجتماعية وعدم الاستغلال أو الاحتكار، أو إحراز المكاسب الذاتية التي قد يحظى بها من هم في مراكز القوة. على أنه ينبغي ملاحظة أن قيم المجتمع قد تعكس احتياجات الطبقة الحاكمة، أو الصفوة، أو أية جماعة ثقافية أو عنصرية سائدة؛ ولذلك، قد يكون الضبط الاجتماعي موجهاً نحو تدعيم المصالح الخاصة.

تماسك اجتماعي: Social Cohesion

مصطلح ليس له معنى متفق عليه بوجه عام، ويستخدم في أغلب الحالات بطريقة غير رسمية ليشير إلى المواقف التي يرتبط فيها الأفراد بعضهم مع بعض بروابط اجتماعية وثقافية عامة، والتماسك عامة صفة تطلق على الجماعات الصغيرة حين تعمل على اجتذاب أعضائها وتدفعه

إلى الاحتفاظ بعضويتهم فيها.

وهناك استخدام آخر أقل تحديداً يشتق من كتابي (دور كايم) تقسيم العمل الاجتماعي سنة ١٨٩٣م، فقد ذهب (دور كايم) إلى أن درجة التماسك الاجتماعي خاصية في الجماعات والتنظيمات والمجتمعات تؤثر بوضوح في أنماط سلوكية مثل الانتحار، ويستخدم بعض العلماء المصطلح للإشارة إلى الجماعة الصغيرة أو الكبيرة التي تكشف عن ثلاثة خصائص أساسية هي: ارتباط الأفراد بمعايير وقيم عامة، والاعتماد والتبادل بين الأفراد الذي يكون نتيجة لمصالح مشتركة، ثم توحد الأفراد بالجماعة، وقد عرف (إنزبوني) التماسك بأنه علاقة إيجابية معبرة بين فاعلين أو أكثر غير أن هذا التعريف يتجنب عن عمد استخدام مصطلح الجماعة، مع أن التماسك نفسه غالباً ما يكون خاصية مميزة للجماعات، ولم يتضمن أيضاً الإشارة إلى قيم وأهداف مشتركة، بل يكتفي بالإشارة إلى معايير عامة تحدد ظروف وشروط العلاقة بين الأفراد.

تطور اجتماعي: Social Evolution

مفهوم (أو تصور) يتضمن في الأصل فكرة أن كل المجتمعات تمر بمراحل محددة؛ ذلك في انتقالها من الشكل البسيط إلى الشكل الأكثر تعقيداً، كما يتضمن - في أغلب الأحيان - نوعاً من المماثلة بين نمو الكائن الحي وتطور المجتمع الإنساني، واشتمل بصفة خاصة على فكرة أن التخصص المتزايد للوظائف أمر يصاحب التطور المتزايد للبناء.

غير أن هذا التصور امتد فيما بعد ليشمل عملية التغير التدريجي الذي يحدث في كل المجتمعات عندما تتغير وظائف نظم معينة أو عندما يعاد تحديد الأدوار فيها؛ ولكنه مع ذلك لا يعني أن كل المجتمعات لابد وأن تمر بنفس المراحل من التغير، ولذلك يبدو من الأفضل في تصورنا أن نحدد مصطلح التطورالاجتماعي في الفكرة الأولى وعندئذ يشار إلى معنى الأخير على أنه عملية للتغير الاجتماعي.

هذا وعلى الرغم من أن (أرسطو) كان واعياً تماماً بعملية التغير الاجتماعي وأشار إلى تطور وانحلال الأبنية الاجتماعية، وعلى الرغم من أن (أفلاطون) أيضاً قد وضع في اعتباره احتمالات تغيير التشريع للظروف الاجتماعية السائدة إلى أن أصول هذا التصور بالمعنى المشار إليه في الفقرة الأولى قد ظهرت في مرحلة متأخرة عنهما بكثير.

وقد ترجع الأصول المبكرة لهذا المصطلح إلى كتابات (توماس هوبز) عندما تصور التنظيم الاجتماعي للمجتمعات المتوحشة على أنه يماثل التنظيم الاجتماعي للأسلاف الأوائل والمجتمعات المتمدنة أو الغربية.

كذلك طورت كتابات مدرسة الفزيوقراط في القرن الثامن عشر بفرنسا نظرية مراحل التطور الاجتماعي، فقد ذهب (مونتسكيو) في كتابه روح القوانين ١٤٧٨م إلى أن البيئة الجغرافية هي التي تحدد الشكل المثالي أو النموذجي لأي نظام في أي مجتمع، وذهب (دافيد هيوم) إلى أن العوامل السيكولوجية هي التي تسيطر على العمليات الاجتماعية، وأن التطور

يحدث من الغريزة عبر الإحساس والانفعال إلى العقل.

أما (أوجست كونت) فقد ذهب بعد استعراض وتركيب أعمال كثيرة من المفكرين الذين سبقوه، واستعراض الصور الثقافية المختلفة والمتنوعة إلى أن المجتمعات تمر بمراحل ثلاثة متميزة: مرحلة بدائية هي المرحلة اللاهوتية، مرحلة انتقالية هي المرحلة الميتافيزيقية، ثم المرحلة الوضعية العلمية، والمجتمع في نظر (كونت) عبارة عن كائن حي اجتماعي يتصف بانسجام البناء والوظيفة، ويتميز التقدم في رأيه بتزايد تخصص الوظائف، وبالتالي بالميل أو الاتجاه المصاحب نحو التوافق التام للأعضاء، كذلك ذهب (سبنسر) إلى أن هناك في الحياة الاجتماعية تغيراً من الأشكال البسيطة إلى المركبة، ومن المتجانس إلى غير المتجانس، ويحدث على مستوى المجتمع نوع من التكامل بالنسبة لكل نوع من التمايز بالنسبة للأجزاء، وهذا وفي الوقت الذي تصور فيه (كونت) المجتمع على أنه كائن حي اجتماعي وجد (سبنسر) عدداً من وجوه التباين بين ما هو عضوي وما هو اجتماعي ولم يتصور المجتمع أكثر من أنه يماثل الكائن الحي.

وقد اهتم علماء القرن التاسع عشر بجوانب التطور الاجتماعي ومظاهره فذهب سير (هنري مين) مثلاً في كتابه القانون القديم ١٨٦١م فطور فكرة (باخوفن) وحدد مراحل مختلفة لتطور أشكال الأسرة من الإباحية الجنسية إلى الزواج الوحداني، وهي المراحل التي يرى أن كل المجتمعات لابد من أن تكون قد مرت عليها بالضرورة. أما (تايلور) فقد ربط في كتابه «الثقافة البدائية» ١٨٧١م هذا الإطار التطوري العام

بملاحظات مختلفة من مجتمعات عديدة، وحاول أن يتتبع مراحل الأشكال الدينية، وتابعه في هذا الاتجاه (جيمس فريزر) في كتابه «الغصن الذهبي» سنة ١٨٩٠م (دوركايم) في كتابه «الأشكال الأولية للحياة الدينية» سنة ١٩١٢.

حركة اجتماعية: Social Movement

١- يشير مصطلح الحركة الاجتماعية إلى الجهد الملموس والمستمر الذي تبذله جماعة اجتماعية معينة من أجل الوصول إلى هدف أو مجموعة أهداف مشتركة.

ويتجه هذا الجهد نحو تعديل أو تغيير أو تدعيم موقف اجتماعي قائم، على أن هذا التعريف لم يتناول مسائل مثل درجة التنظيم في الجماعة، أو وضوح الأهداف، وهذه المسائل تختلف من حركة اجتماعية إلى حركة اجتماعية أخرى.

٢- وقد أسهم (بلومر) في مناقشة مصطلح الحركات الاجتماعية من خلال دراسة السلوك الجمعي، فالحركات الاجتماعية عنده مشروعات جماعية تستهدف إقامة نظام جديد للحياة، وتستند إلى إحساس بعدم الرضا عن النمط السائد والرغبة في إقامة نسق جديد، والحركات الاجتماعية تحتاج إلى نموذج معين للتنظيم كما تستند إلى عادات وتقاليد وقيادة ومجموعة قيم وأدوار اجتماعية؛ وقد صنف (بلومر) الحركات الاجتماعية إلى: الحركات الاجتماعية العامة مثل: حركة العمل،

والحركات الاجتماعية الخاصة مثل: الحركة ضد نظام العبودية، والحركات الاجتماعية التعبيرية مثل: الحركات الدينية، ويعتقد (بلومر) أن استخدامات مصطلح الحركات الاجتماعية قد ركزت على الاتجاه السياسي وعلى تاريخ هذه الحركات.

تنظيم اجتماعي: Social Organization

١- لهذا المصطلح تاريخ طويل في الكتابات الأنثروبولوجية، ويستخدم أحياناً كمرادف لمصطلحات أخرى مثل: البناء الاجتماعي، والنظام الاجتماعي العام، النمط الاجتماعي، وكل العبارات الأخرى التي تشمل نوعاً من الترتيب المنظم. وقد بذلت في القرن العشرين وحده جهود لتحديد المصطلح أكثر من ذلك.

٢- أما أقدم استخدامات المصطلح فهي التي تشير إلى «أن الفهم الكامل للتنظيم الاجتماعي عن شعب من الشعوب يمكن أن يتحقق فقط بعد دراسة كاملة للنظم والوظائف التي تؤديها التجمعات الاجتماعية لديه» ثم كتب(لوي) عن التنظيم بالمعنى العام نفسه بعد ثلاثين عاماً، «إن دراسة التنظيم الاجتماعي تناول أساساً التجمعات الرئيسة للأفراد» كذلك تحدث (ريفرز راد كليف براون) في دراستهما النظرية الهامة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية عن التنظيم بهذه الطريقة ولم يبذلا أي جهد للتفرقة بينه وبين البناء الاجتماعي.

٣- وعلى العكس من هذه الكتابات نلاحظ أن (مالينوفكسي)

يستخدم المصطلح في وصف الطريقة التي ينظم بها أعضاء المجتمع البيئة المادية التي يعيشون فيها لكي تشبع حاجتهم العضوية والنفسية والاجتماعية، وهو في ذلك متأثر بالكتابات السوسيولوجية أكثر من الكتابات الأنثربولوجية، أما (ماكس فيبر)، فهو على سبيل المثال - يستخدم مصطلح التنظيم للإشارة إلى نسق من الأنشطة الهادفة المستمرة ذات الطبيعة الخاصة التي ترتبط بالجماعات الثقافية وبأبعادها الإدارية.

٤- وقد استخدم المصطلح استخداماً آخر في مقال نشره (بروان وبارنت) عام ١٩٤٢، فلاحظ المؤلفان أن استخدام مصطلحي التنظيم الاجتماعي والبناء الاجتماعي في الكتابات الأنثروبولوجية المعاصرة، استخدام غير محدد، وأنه يتعين أن يستخدم المصطلحان استخداماً مترادفاً، ومع ذلك فإنهما في الفترة نفسها اقترحا التعريف التالي للتنظيم الاجتماعي: «يشير التنظيم الاجتماعي إلى أنساق علاقات الالتزام التي تسود بين الجماعات وداخلها في مجتمع معين، على حين يشير البناء إلى وضع الأفراد والجماعات داخل هذه الأنساق».

وفي عام ١٩٤٠ عقد (راد كليف براون) مقابلة بين مفهومي التنظيم الاجتماعي والبناء الاجتماعي، الذي يشير إلى نسق من الأشخاص يشغلون أوضاعاً ترتبط بعضها ببعض، ففي الوقت الذي تتصل فيه مباشرة بتنظيم اجتماعي أو نسق للأدوار يخضع لقواعد وضوابط اجتماعية، يرى (ريموند فيرث) أن التنظيم الاجتماعي يشير إلى الترتيبات الفعلية في المجتمع، أي عملية ترتيب الأفعال وانتظام العلاقات من أجل أهداف اجتماعية.

٥- أما بين علماء الاجتماع فإن مصطلح التنظيم يشير إلى بناء وعملية في الوقت ذاته، فهو كبناء يقصد به أي نمط مستقر للعلاقات المتبادلة بين الأجزاء المكونة بحيث يشكل كلا له خصائص لا توجد في الأجزاء المستقلة. وكعملية يشير إلى طريقة تكوين هذه الوحدات الكلية، والتنظيمات الاجتماعية على هذا النحو تؤدي وظائفها بصورة أكثر كفاءة من الأشخاص الذين لا يربطهم هذا التنظيم، والمجتمع ككل يمكن فهمه كنسق معقد من التنظيمات.

بناء اجتماعي: Social Structure

١- استخدم (سبنسر) وغيره من علماء الاجتماع المعاصرين هذا المصطلح للإشارة إلى نوع من الترتيب بين مجموعة نظم يعتمد بعضها على بعض، وتُعد وحدات البناء الاجتماعي هي ذاتها بناءات فرعية، والافتراض الأساسي هنا هو أن التكامل أو بقاء الكل يتوقف على العلاقات بين الأجزاء وأدائها لوظائفها.

وعلى العكس من هذا التصور العام للبناء الاجتماعي هناك التصور الذي قدمه علماء الاجتماع التحليليون (أو علم الاجتماع الصوري عند «فون، وبيكر، وهيلر) ومؤدّاه: أن البناء الاجتماعي:

(أ) ترتيب للأوضاع أو المركز.

(ب) أو شبكة من العلاقات بين الأشخاص أو الفاعلين.

وهكذا يتكون بناء المجتمع أو تنظيمه من مراكز مثل: المهن والتطبيقات

والتوزيع العمري والجنس، ويتقرب تصور (فيرث) من ذلك، «فالبناء الاجتماعي الذي يدرسه علماء الأنثربولوجيا يتضمن علاقات أساسية تنشأ عن النسق الطبقي وعضوية الجماعات الدائمة، مثل: العشائر، والطوائف، وطبقات العمر أو المجتمعات السرية، وثمة علاقات أخرى ترجع إلى الأوضاع التي يشغلها الناس في النسق القرابي».

ويبدو أن التصور العام للبناء الاجتماعي مستعار من الفيزياء البيولوجية ومورفولوجيا الحيوانات والنباتات. وجدير بالذكر أن المماثلة العضوية التي قدمها (هربرت سبنسر) بين المجتمع والكائن العضوي قد أسهمت في نشر وتوضيح مصطلح البناء الاجتماعي.

أما التساؤلات الخاصة بالبناء فتشمل:

(أ) كيف نشأ البناء الاجتماعي وحقق تكامله؟

(ب) ما هي مكونات البناء ووحداته الأساسية؟

(ج) كيف يحدث تكامل بين هذه الوحدات؟

ومن المعروف أن مفهوم البناء الاجتماعي في الاستخدامات السوسيولوجية يطبق على الجماعات الصغيرة والمجتمعات الكلية.

٢- ويحتل هذا المصطلح أهمية مركزية في المدخل الوظيفي البنائي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية، وغالباً ما يستخدم في الأنثروبولوجيا عامة كمرادف «للتنظيم الاجتماعي»، كما يستخدم بصفة خاصة في تحليل نظم القرابة والنظم السياسية والقانونية في المجتمعات

البدائية، غير أنه ربما (فيرث) يميز بين البناء الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي على أساس أن التنظيم الاجتماعي يشير إلى الاختيارات والقرارات المتضمنة في العلاقات الاجتماعية والواقعية، بينما يشير البناء الاجتماعي إلى العلاقات الاجتماعية والجوهرية التي تعطي للمجتمع صورته الأساسية والتي تحدد مجريات الفعل الاجتماعي. أما (فورتس) فيرى أن المصطلح ينطبق على كل الترتيبات المنظمة للكليات المتميزة. كالنظم والجماعات والمواقف والعمليات والأوضاع الاجتماعية، ولكن (إيفانز بريتشارد) في كتابه «النوير» سنة «١٩٤٠) يقتصر المصطلح على العلاقات التي تقوم بين الجماعات، في الوقت الذي يركز فيه (ليتش) وكتابه عن مجموعة الأفكار التي تتعلق بتوزيع القوة بين الأشخاص والجماعات.

٣- وقد استخدم المصطلح منذ ظهوره في كتابات (راد كليف براون) ليحقق أهدافاً ثلاثة:

أولاً: تمييز الوصف أو التفسير الذي يتم في نطاق الثقافة عن ذلك التمييز أو الاختلاف الأساسي بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية في بريطانيا والأنثروبولوجيا الثقافية في أمريكا.

ثانياً: عزل بعض المبادئ الصورية والكامنة عن مضمون العلاقات الاجتماعية.

ثالثاً: تمييز البناء عن الوظيفة، بمعنى تمييز أشكال وصور العلاقات الاجتماعية عن آثارها ونتائجها.

وبناء على ذلك يلاحظ أن (راد كليف براون) على العكس من (مالينوفكسي) الذي تبنى نظرة أكثر عمومية للثقافة، حيث تشمل على الثقافة المادية والقيم والمعايير وجوانب السلوك الواقعي، يميز ثقافة المجتمع عن بنائه الاجتماعي على أساس أن ثقافة المجتمع تمثل أنماط السلوك المقررة والمقننة بينما يتكون البناء الاجتماعي الكلي من العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين جميع الأفراد في لحظة زمنية معينة، ويميل بوجه عام علماء الأنثروبولوجيا الثقافية في أمريكا إلى تبني نظرة واسعة للثقافة تشبه إلى حد كبير نظرة (مالينوفسكي) وبالتالي فهم - على العكس من (راد كليف براون) - يعطون الأولوية للثقافة بدلاً من الإطار البنائي المرجعي، ومن أمثال هؤلاء (ميردوك وروبرت لوي).

ب- إن الاستخدام الشائع لمفهوم البناء الاجتماعي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية يشير إلى مجموعة المبادئ الكامنة في العلاقات الاجتماعية وليس المضمون الفعلي أو الواقعي لها، وقد انتشر هذا الاستخدام تحت تأثير كتابات (راد كليف براون) التي يميز فيها بين الصورة البنائية والبناء الواقعي.

فالبناء الاجتماعي في نظره عبارة عن حقيقة إمبريقية موجودة في لحظة زمنية معينة، أما الصورة البنائية فهي تجريد لهذه الحقيقة يقوم به الباحث ويستمر فترة وليس مجرد لحظة من الزمان، ويميل علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية المحدثون من أمثال: (فورتس، وريفانز ريتشارد، وريمون فيرث، ونادل) إلى استخدام مصطلح البناء الاجتماعي انطلاقاً من تحديد

المبادئ البنائية الكامنة في أي تكوين معين للعلاقات الاجتماعية، (ففورتس) مثلاً يرى أن العملية الهامة في هذا الصدد ليست تحديد الأجزاء وتحديد علاقاتها المتبادلة، بل تحديد المبادئ التي تحكم الترتيب البنائي والقوى التي تدعمه.

جـ- إن التمييز بين مصطلح البناء ومصطلح «الوظيفة الاجتماعية» جعل (راد كليف براون) ينتقل من فكرة البناء الاجتماعي الكلي (المجتمع) إلى فكرة البناء الفرعي أو إلى مجموعة خاصة من العلاقات الاجتماعية، فالبناء الفرعي تكون له وظيفة إذا أسهم في حفظ الاستمرارية البنائية للنسق الكلي.

نسق اجتماعي: Social System

يتكون النسق الاجتماعي - بصفة أساسية - من شخصين أو أكثر يتفاعلان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في موقف مشترك، وقد تكون هناك حواجز مكانية أو طبيعية، إلا أن الأفراد يتوجهون - بالمعنى الواسع - نحو مركز مشترك أو نقطة ذات ارتباط متبادل. كذلك فمن غير المناسب أن تُعد المجموعات المتنوعة العلاقات كالجماعات الصغيرة أو الأحزاب السياسية أنساقاً اجتماعياً؛ لأن الأنساق الاجتماعية تكون دائماً أنساقاً مفتوحة تتبادل المعلومات مع الأنساق الأخرى كما تعمل بوضوح اتفاقاً معها.

ويمكن تتبع التصورات الحديثة للمصطلح في أعمال علماء اجتماع

القرن التاسع عشر من أمثال: (أوجست كونت) و(كارل ماركس) و(هربرت سبنسر) و(إمل دوركايم)، فقد استطاع كل منهم أن يقدم بصورة أو بأخرى تصورات متقنة ودقيقة للوحدات الكبرى للأنساق الاجتماعية والعلاقات التي تقوم بينها، وقد كانت الوحدات الكبرى للأنساق الاجتماعية والعلاقات التي تقوم بينها، وقد كانت الوحدات الكبرى أو مقومات المجتمعات الرأسمالية التي اهتم بها (ماركس) هي الطبقات الاجتماعية والاقتصادية التي تعكس العلاقة القائمة بينها القوة الاقتصادية والسياسية، وربما كان أكثر التصورات تأثيراً وانتشاراً لمصطلحات النسق الاجتماعي هو الذي طوره (تولكوت بارسونز) في كتابه (بناء الفعل الاجتماعي) سنة ١٩٣٧، حيث اتخذ اهتمامه بموضوع النسق الاجتماعي اتجاهين أساسيين: الأول أسماه مشكلة النظام الاجتماعي العام، أي طبيعة القوى التي تؤدي إلى أشكال ثابتة نسبياً من التفاعل والتنظيم الاجتماعي، وهنا يتابع (ماكس فيبر) و(دور كايم) في تأكيدهما على وظائف العوامل المعيارية في الحياة الاجتماعية مثل: القيم والمثل العليا.

أما الاتجاه الثاني فهو محاولة جعل علم الاجتماع أكثر علمية ودقة، وذلك بتطوير تصورات مجردة عن النسق الاجتماعي، ويذهب (بارسونز) إلى أن (فيبر) رغم تأكيده على العوامل المعيارية كموجهات للفعل، إلا أنه لم يقدم صياغة محددة عن نسق كلي للفعل متكامل من الناحية النظرية.

ولذلك كانت محاولة (بارسونز) ربط تصور «الفاعلين» في المواقف الاجتماعية بالنظرة الخارجية والكلية المجردة للعوامل الكبرى في إطار

واحد أحد إسهاماته من أجل تصور متكامل للنسق الاجتماعي، وعموماً فإنه من المتفق عليه بين علماء الاجتماع أنه لابد من أن نحدد بدقة ما الذي يكون النسق الاجتماعي، وهو الذي لا يقتصر في نظر الكثيرين على المواقف التي ترتبط بينها معايير نظامية، بل لابد من أن يشتمل على مركز توجيهي مشترك، ومجموعة من الأساليب تحدد طريقة الاتصال بين أغلب الفاعلين. ومن المتفق عليه أيضاً ضرورة التمييز بين الأنساق الاجتماعية والثقافية وأنساق الشخصية على الرغم من أن مصطلح النسق الاجتماعي قد يستخدم في كثير من الأحيان بمعنى يشتمل على هذه الأنواع، ولكن إذا كان نسق الشخصية يشير إلى جوانب الشخصية التي تؤثر في أداء الفرد لوظائفه الاجتماعية، فإن النسق الثقافي يشتمل على المعتقدات الفعلية والأنساق الملموسة للقيم والوسائل الرمزية للاتصال، ويشير النسق الاجتماعي إلى أنماط التفاعل والتنظيم مثل: بناء السلطة في تنظيم ما وتقسيم العمل في الأسرة ووظائفها المختلفة.

تراث (تقاليد): Tradition

١- يطلق هذا المصطلح (تراث) على انتقال بعض المعتقدات وأنماط السلوك والأنشطة من جيل إلى جيل آخر. وقد يستخدم مصطلح التراث بمعنى الثقافة أو كعنصر ثقافي ينتقل عبر الزمان ويحقق درجة من الدوام والاستمرار، والتراث قد يكون شفاهياً، أو تراثاً شعبياً، أو رواية شعبية، وبالنسبة للنظم الاجتماعية ينتقل التراث عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية حيث يكتسب الطفل العرف وأنماط السلوك المعتادة من

الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق.

٢- وقد يطلق المصطلح أيضاً على بعض العناصر الثقافية التي تنتقل من جيل إلى آخر، وهنا يستخدم المصطلح بمعنى التقليد (Tradition) أنماط السلوك المقننة التي تنتجها الجماعة، وتعمل على تدعيم تماسكها ووعيها بذاتها، كما تحظى بالقبول من جانب الأعضاء.

قيمة (اجتماعية): Value (Social)

١- القيمة كمصطلح عام في العلوم الاجتماعية قد تعني أي موضوع أو حاجة، أو اتجاه، أو رغبة، ويستخدم المصطلح في معظم الحالات حينما تظهر علاقة تفاعلية بين الحاجات والاتجاهات والرغبات من جهة، والموضوعات من جهة أخرى، كما أنه يعني: (دائماً في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا) المستويات الثقافية المشتركة التي نحتكم إليها في تقدير الموضوعات والاتجاهات الأخلاقية أو الجمالية أو المعرفية، وهناك اعتقاد بين من يشاركون في هذه المستويات بأنها صادقة وأنه يتم الاعتماد عليها في تقييم الموضوعات.

٢- والواقع أن دراسة القيم هي دراسة فلسفية الأصل، ويصدق ذلك بصفة خاصة على المحاولات التي استهدفت تحديد صدق القيم أو صحة المستويات التي نحتكم إليها، ولم يكن يتصور من يهتمون بهذه المسألة أنها يمكن أن تحسم أمبريقياً، ومن أقدم التعريفات للقيمة والاتجاه تعريف (توماس وزنانيكي) في مؤلفهما الشهير (الفلاح البولندي)، فهما يذهبان

إلى أن القيمة الاجتماعية تعني أي معنى ينطوي على مضمون واقعي، وتقبله جماعة اجتماعية معينة، كما أن لها معنى محدداً حيث تصبح في ضوئه موضوعاً معيناً، أو نشاطاً خاصاً، أما الاتجاه فهو عملية الوعي الفردي التي تحدد النشاط الواقعي للفرد، إنه النشاط المحتمل في العالم الاجتماعي. . . فالاتجاه إذن هو الجانب الفردي للقيمة الاجتماعية، والنشاط أياً كانت صورته هو الرباطة بينهما. غير أن (توماس) يعرف الاتجاه والقيمة بطريقة بسيطة، فالاتجاه هو الميل نحو الفعل، حيث يمثل رغبة أو حافزاً، أما القيمة فتعبر عن موضوع الفاعل أو هدفه، وقد حاول (توماس) بعد ذلك أن يربط بينهما في عبارة «الاتجاه نحو القيمة».

٣- ومن التعريفات الهامة للمصطلح أيضاً تعريف (كلاكهون) C.Klukhohn فالقيمة هي تصور واضح أو مضمر يميز الفرد أو الجماعة، ويحدد ما هو مرغوب فيه بحيث يسمح لنا بالاختيار من بين الأساليب المتغيرة، والوسائل، والأهداف الخاصة بالفعل.